مقتطفات من كتاب
فرنسيس باكون
عباس العقاد



إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com

تقدمة

في الصفحات التالية تعريف بالمفكر الباحث الفيلسوف فرنسيس باكون، الذي ينسب إليه بناء العلم الحديث على أساس التجربة والاستقصاء.

وينقسم القول فيها إلى قسمين: قسم «عن باكون»، ويشمل النظر في عصره ونشأته وأخلاقه ورسالته الفكرية ومكانته الأدبية.

وقسم «من باكون» ويشمل المختارات من كتبه، التي يخلد بها بين رجال القلم، ولا تنقضي قيمتها الفكرية أو الأدبية بانقضاء فترة من فترات الثقافة الإنسانية أو الثقافة الأوروبية.

وكلا القسمين متمم للآخر في التعريف بالمفكر الكبير، ولكن في حدود هذه الصفحات التي تكفي لإجمال الجوهري من عمله وأثره، ولا ترمي إلى استيعاب النوافل والزيادات، وإن كانت تومئ إليها أقرب إيماء.

وحسبنا من هذه الصفحات أنها تعرِّف به من لا يعرفه، وأنها تضيف شيئًا — ولو يسيرًا — إلى هذه الناحية أو تلك من وجهات النظر العديدة إليه، في رأي عارفيه.

عباس محمود العقاد

عصر الرشد

نشأ فرنسيس باكون في إبان عصر الرشد، بعد تمهيد غير قصير في طريق اليقظة والاستطلاع والكشف والتجربة.

ونسميه عصر الرشد؛ لأن العصور التي قبله كانت عصورًا قاصرة يفكر فيها العقل البشري بهيمنة من الوحي المسيطر عليه، ولا يجرؤ على التفكير لنفسه والاستقلال برأيه وعمله.

ولد بلندن في أوائل سنة ١٥٦١، في بيت من بيوت الرئاسة من جانبي أبيه وأمه، فكان أبوه السير نيقولاس باكون حامل أختام الملكة في عهد اليصابات، وكانت أمه بنت السير أنتوني كوك الذي كان مربيًا لإدوارد السادس، وركنًا من أركان الإصلاح الديني في زمانه، وكانت سيدة مثقفة تحسن اللاتينية واليونانية، وتتشيع لمذهب كلڤن وتغلو في التشبث بآراء المتطهرين والمتنطسين، الذين يمقتون التيسير والسماحة في مسائل الدين.

ومفصل القول في أخلاق باكون أنه كان ابن عصره في كل ما ينحو به إلى الفخر والوجاهة والخيلاء، وكان مدينًا لعصره بهذه الغيرة الوطنية، وإن سبق المعاصرين فيها بالنظر الصائب والرأي الحصيف، وكان مدينًا له بحب الاستطلاع والهيام بالمجهول، وكلتا الخصلتين مما يحسب لعصره دينًا عليه.

ولكنه لم يكن باكون العظيم بهذا ولا بذاك، وإنما كان عظيمًا بالشيء الذي لا يستمده من العصر ولا يضارعه فيه جميع المعاصرين، وذاك هو العقل القدير وأمانة التفكير.

الصادق والملاحظة الرشيدة، أو تخليصه من تلك الآفات التي اصطلح باكون على تسميتها بالأوثان Idols، وعنى بها العقائد والموروثات التي تنحرف به عن قصده، وتميل به إلى السخف والضلالة.

وقد أطلق عليها ألقابًا مجازية على طريقته في المزج بين صيغة العلم وصيغة البلاغة، وسماها (١) أوثان القبيلة و(٢) أوثان الكهف و(٣) أوثان السوق و(٤) أوثان المسرح، وهي تطوي في هذه العناوين الأربعة كل ما هنالك من بواعث الخطأ والانحراف.

وتتلخص رسالة باكون في غرضين هما تحويل العلم إلى منفعة بني الإنسان، وإقامة العلم على أساس الاستقراء بعد قيامه زمنًا على أساس التقدير والقياس؛ لتفسير الطبيعة وتسخيرها بمطاوعة قوانينها، لا بفرض الأحكام السابقة عليها وجهلها تلك القوانين.

وكلا هذين الغرضين لم يبدعه باكون في زمانه كل الإبداع، بل جاء عمله في كل منهما بعد تمهيد وارتياد واستطراد.

فالانتفاع بالعلم في الحياة هو الخطوة الكبرى التي خطاها عصر النهضة كله يوم فرق بين اللاهوت والفلسفة، وبين علوم الآخرة وعلوم الدنيا، ويوم عرف الناس أن العلم كله لا يدور على ما بعد الموت، وأن علم السماء نفسه يعود بنا إلى الأرض؛ لنعرف منها ما لم نكن نعرفه ونحن على متنها وبين فجاجها ... وذاك علم الفلك وأثره في هداية الناس إلى حقيقة الأرض، قد سبق عصر باكون رائدًا في طريق المعرفة الدنيوية، ورجح في منافعه بجهود رواد كثيرين.

وكذلك كان فيما نظم من القصيد، وهو قليل.

ومن هذا القليل قصيدة نترجمها هنا؛ لأن ترجمتها تفسر لنا ما عنيناه بذلك القسط الشعري في كلامه المنثور، فلا فرق بين ترجمة شعره ونثره، إذا زال الوزن والقافية من قصيدة المترجم إلى لغة أخرى؛ لأن بلاغته الشعرية كلها مما يسهل تحصيله في النثر البليغ.

قال من قصيدة عنوانها «الدنيا فقاعة» حين جرب تقلب الأقدار وطوارق الأخطار:

الدنيا فقاعة، وحياة الإنسان أقصر من مدى الشبر! وضيع في حمله ووضيع من رحم أمه إلى مثواه، وعليه اللعنة من مهده حيث يتربى مع السنين على الهموم والدموع! فهل من يركن إلى الفناء الهزيل، إلا كمن ينقش على الماء أو يخط على التراب؟

أو يصح أن يقال: إن الحق كاللؤلؤ الذي يرى أحسن ما يرى بالنهار، ولكنه ليس كالماس أو العقيق، اللذين يريان أحسن ما يريان على اختلاف الأضواء.

وهل يرتاب أحد أنه لو خلت العقول الآدمية من خواطر الغرور، وملق الآمال وزيف الأقدار والقيم، وهواجس التخيل على حسب الهوى والمشيئة، ونظائر ذلك من التعاليل، لانقبضت تلك العقول وامتلأت بالكدر والسوداء؟

وإن الحسد فوق هذا لمن أخس الأحاسيس وأرذلها، فلا جرم يعزى إلى الشيطان الذي يدعى بالرجل الشرير «يدس الزوان بين القمح في جنح الظلام»، وهكذا كان الحاسد أبدًا من العاملين في الخفاء لإفساد الطيبات، والقمح مثل لهذه الطيبات.

إذا كانت الرذيلة مجدية، فالفضلاء هم الخاطئون.
ينام نومًا طيبًا من لا يشعر أنه ينام نومًا رديئًا.
الألم يخلق الكذوب حتى من الرجل البريء.
أصغر شعرة لها ظل.
يموت الإنسان عداد من يفقد من الأصدقاء.

الإلحاد

لأهون عليَّ أن أصدق جميع الأعاجيب التي في كتب الأولين وفي التلمود والقرآن من أن أصدق أن هذه البنية الكونية خلو من العقل.

وأرى أن الله لم يخلق قط معجزة لإقناع الملحدين؛ لأن خلقته العامة حرية أن تقنعهم إن كان بهم مقنع.

والحق أن قليلًا من الفلسفة يجنح بالإنسان إلى الإلحاد، ولكن التعمق في الفلسفة يرد العقول إلى حظيرة الإيمان.

وإذا وكل العقل بالأسباب الثانوية، وهي مبعثرة ولا تناسق بينها وقف هنالك أحيانًا ولم يتجاوزها إلى ما وراءها.

ولكنه متى لمح التسلسل بين حلقاتها والاتصال بين أجزائها لم يكن له بد من اللياذ بالقدرة الخالقة والحكمة الإلهية.

لا بل يأتي الدليل على صدق الإيمان من أكثر المدارس الفلسفية عرضة للاتهام بالإلحاد، ونعني بها مدرسة ليوسبس وديمقريطس وأبيقور؛ ولأن يقال: إن العناصر الأربعة المتغيرة والعنصر الخامس الذي لا يتغير تستغني عن الله بما فيها من قدرة التألف والتركيب — ذلك أدنى إلى القبول من أن يقال إن هذا الجيش الذي لا يحصى من الذرات الصغيرة ينتظم على هذا الوضع الجميل بغير قيادة إلهية.

الظن

الظنون بين الأفكار كالخفافيش بين الطيور، لا تطير إلا في غسق المساء.

ومن الحق أن تكبح أو تراقب على حذر؛ لأنها تغيم على العقل وتضيع الأصدقاء وتعطل العمل، فلا يجري في مجراه على استقامة وسهولة.

وهي تغري الملوك بالطغيان والأزواج بالغيرة والحكماء بالتردد والوجوم، وهي عيوب في الرءوس لا في القلوب؛ لأنها تتسل إلى أقوى الطبائع كما رأينا في مثال هنري السابع ملك هذه البلاد، فلم يكن قط رجل أقوى منه ولا أميل منه مع الظنون، وذاك الذي يعصم بعض العصمة، فلا ينجم من الظن إلا اليسير من الأضرار؛ لأنه لا يؤخذ على علاته ولا يقبل إلا بعد امتحان وترجيح.

ولكنه سريع التمكن في الطبائع التي يملكها الخوف، ولا شيء يدعو إلى إفراط في الظن من الإقلال في العلم اليقيني، فمن التمس دواءً للظن فليلتمسه في زيادة العلم واستقصائه، ولا يقنع بكظمه والسكوت عليه.

ولتعلم أن الذين ينكرون الله يهدمون كرامة الإنسان، إذ كان الإنسان بجسده قريبًا من الحيوان، فإن لم يكن بروحه قريبًا من الله فهو مخلوق لئيم خسيس.

كذلك يهدم من ينكرون الله مروءة الإنسان وما في طبعه من سمو وشرف، ولنراقب ذلك في مثال الكلب وما يتمثل فيه من الكرم والشجاعة حين تشمله رعاية مولاه، وهو عنده بديل من الإله، أو طبيعة عليا بالقياس إليه، وما كانت لتخامر مخلوقًا مثله تلك الشجاعة لولا اعتماده على طبيعة خير من طبيعته تكلؤه وترعاه.

والإنسان على هذا المنوال يستجمع القوة واليقين الذي لا قبل للطبيعة الآدمية به حين يركن إلى العناية الإلهية والرعاية السماوية.

فالإلحاد وهو خلة بغيضة من شتى الوجوه يزداد بغضًا بهذه الجناية التي تحرم الطبيعة الآدمية وسائل الترفع عن ضعتها والسمو على ضعفها.

وشأن الأفراد في ذلك شأن الأمم والأقوام، وما تناهت النخوة بآل رومة إلا من ذاك، كما قال شيشرون وهو يخاطب أبناء قومه: «سادتي، إننا نكبر أنفسنا ما نشاء، ولكننا على أية حال لا نفوق الأسبان في الكثرة ولا الغاليين في القوة، ولا القرطجنيين في الحيلة، ولا الإغريق في الفن، بل لا نفوق الإيطاليين واللاتين في الغرام الفطري بهذا الوطن وهذه الأمة، ولكننا في التقوى أو الحاسة الدينية، أو في تلك الحكمة الخاصة التي ترجع بتدبير جميع الأشياء وهدايتها إلى العناية الإلهية — نحسبنا قد تفوقنا ولا ريب على جميع الأمم وجميع الأقوام.»

مقتبسات من مقالات

الإنفاق

مَن عهد في نفسه السرف في باب من الأبواب فهو محتاج إلى القصد في باب آخر. فإن كان مسرفًا في المائدة فليكن مقتصدًا في الكساء، وإن كان مسرفًا في الردهة فليكن مقتصدًا في الإسطبل. وقس على ذلك؛ لأنه إذا أسرف في جميع الأبواب فقلما يسلم من البوار.

الطبيعة الإنسانية

... لا يطيلن أحد قسر نفسه على عادة من العادات، وليداخل بين ذلك قليلًا؛ لأن الفترة التي يعفي فيها نفسه من القسر تعزز العادة الجديدة، ومن كان به نقص وهو قائم بعمل فهو حري أن يزاول فضائله كما يزاول نقائصه، ويراوح بين هذه وتلك، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالمداخلة في حينها الملائم، ولا يغلون أحد في الثقة بانتصاره على طبعه؛ لأن الطبع يكمن زمنًا ثم ينبعث مع الفرصة أو الإغراء، على نحو ما جاء في خرافات أيسوب عن الفتاة التي كانت قطة فأصبحت إنسانة حسناء، فما لبثت وهي جالسة على المائدة في خفرها وحيائها أن بصرت بالفأر فوثبت إليه.

مقتبسات متفرقة من كتب باكون المختلفة

- كل معرفة أو عجب (وهو بذرة المعرفة) هي في لبابها مما يقع في النفس موقع السرور.
- إذا بدأ المرء باليقين فهو منته إلى الشك، ولكنه إذا اكتفى بالشك في البداية وصل في النهاية إلى اليقين.
- معرفة الإنسان كالماء: بعضه يهبط من السماء، وبعضه يتفجر من الأرض؛ وإحداهما تصل إلينا بنور الطبيعة، والأخرى توحي إلينا بتنزيل من الله.
- نحن أميل كثيرًا إلى ماكيافلي وأمثاله ممن يقولون ما يعمله الإنسان، لا ما ينبغي أن يعمله.
- كل فلسفة أخلاقية حسنة فهي وصيفة للديانة.
- من مبادئ ليساندر أن الأطفال يخدعون بالحلوى والرجال بالأقسام.
- طرق الحياة كطرق المكان، أقصرها كثيرًا ما يكون أقذرها، وليس أجملها بالقريب منك في كل حين.
- في الطبيعة ينابيع من العدل تنبثق منها القوانين كالجداول.
- ينبغي أن تتبع الكتب العلوم، لا أن تتبع العلوم الكتب.
- الوجه الجميل توصية صامتة.
- الرجاء إفطار حسن ولكنه عشاء رديء.
- كان الونسو الأرغواني يقول في مدح القدم: إنه يبدو خيرًا وأفضل في أربعة أشياء: الحطب القديم ليحرق، والخمر القديمة لتشرب، والأصدقاء القدامى ليوثق بهم، والمؤلفون الأقدمون ليقرءوا.
- لما فر ديمستين من المعركة وليم على ذلك قال: إن الذي يفر مرة يقاتل مرة أخرى.

- لما هنأ بيرهوس أصدقاؤه بانتصاره على الرومان بقيادة فابريكوس بعد مقتلة عظيمة في جيشه قال: نعم! ولكنا إذا انتصرنا هكذا مرة أخرى قضي علينا.
- الثروة خادمة جميلة ولكنها أقبح سيدة.
- في صوت الشعوب شيء من الربانية، وإلا فكيف تتفق كل هذه الأنفس على رأي واحد؟
- الصمت فضيلة الحمقى.
- ليس لخطة اعتدال قط قبول عند الغوغاء.
- القول بأن الأشياء كلها تتغير، وأنه لا شيء في الحقيقة يفنى وأن مقدار المادة يبقى أبدًا كما كان — هو يقين واف.
- تتفق الألوان جميعًا في الظلام.
- من كانت له زوجة وأولاد، فقد أعطى الرهائن للأقدار؛ لأنهم عقبة في طريق كل عمل عظيم للخيرات كان أو للشرور.
- الزوجات خلائل الشباب، ورفيقات الكهولة، وممرضات الشيخوخة.
- كما يكون المواليد عند وضعهم قباح المنظر كذلك البدع عند ظهورها تقبح في العيون؛ لأنها مواليد الزمان.
- من لم يتخذ العلاج الجديد عليه أن يتوقع الداء الجديد؛ لأن الزمن أبو البدع ومنشئ الجديد.
- في الدنيا صداقة قليلة، وبخاصة بين الأكفاء.
- الفرصة تخلق اللص.
- لا نستطيع أن نسيطر على الطبيعة إلا بطاعتها.
- المعرفة قوة.
- من أشبع غيره منه رخص.
- اختيار الوقت قصد في الوقت.
- في الطبيعة الإنسانية من الأحمق فوق ما فيها من الحكيم.
- الفرنسيون أعقل مما يظهرون، والأسبان يظهرون أعقل مما هم في الحقيقة.
- البيوت جعلت للسكن لا للنظر، فلنقدم فيها الفائدة على النسق، ما لم تتفق لها المزيتان.

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

حسابات حدوتة كتاب

للاندرويد
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.BookHdotah

للكمبيوتر والايفون
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/Book_show_simple.php

يوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCTG5AYoNunvwpHnPEybZxRg

فيسبوك
https://www.facebook.com/hdoott

واتساب
https://chat.whatsapp.com/GRX8q4psOOVEsaVTvcYLeD

تلجرام
https://t.me/Book_hadotah

شاركونا كتبكم على هذا الرابط
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/coments_form.php

او في قسم (شاركنا كتاب) بقائمة التطبيق

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)



www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355